

فأدرجت الصفحة المصورة على نواقصها ضمن ملاحق الدراسة التي كنت أكتبها عن تاريخ بربورة، كما مكنتني هذه الخطوة الأولية من الكتابة وتقديم معرفة مبسطة وأولية عن مصنف الكتاب (المخطوط) وهو الشيخ علي بن عبد الله البربوري الأوالي البحراني، فما تحقق كان مفيداً إلى حد كبير.

غير أنني لم أقتنع بما تحقق من خطوة سابقة، فالمعرفة تراكمية ولا بد من إضافة اللاحق على السابق للوصول إلى الأفضل، كما أن في الزمان متسع للحصول على تقدم في هذا المجال، وأثرت البحث عن المخطوطة بأكملها من مصدر آخر طالما تأكدت من وجودها فعلياً بالعين المشاهدة مع أن الأستاذ العرادي لم يطلعني على المخطوطة، ولكن رؤية الصفحة المهمة في المخطوط أقتعتني بذلك، إضافة إلى صدق رغبة الأستاذ العرادي في تقديم خدمة علمية في هذا الشأن.

ومن جهة أخرى خشيت - في الوقت نفسه - أن يذهلني ذلك الانشغال بالمخطوطة والتمركز حولها عن أمور تفصيلية أو مجملية أخرى يمكن بواسطتها إثراء دراستنا عن جانب من تاريخ بربورة وبخاصة بعض مظاهر الحركة الثقافية فيها التي صنعها أجدادنا وعلمائنا الأبرار، فصرفت النظر عنها مؤقتاً وفي النفس شوق وتوق عسى أن أوهب فرصة أفضل في قابل الأيام.

ولكنني - بعد انتهاء المقابلة - أخذت فوراً بالنصيحة التي أسداها إلي صديقنا الأستاذ عبد العزيز العرادي بضرورة الاطلاع على المخطوطات والكتب المكتوبة بخط اليد التي يحتفظ بها عدد من أحفاد بعض النساخين أو القائمين على إدارة المآتم الحسينية كالخري والوفيات والموالي التي نسخها أبناء بربورة والنويدرات في فترة سابقة وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين الماضيين، فما كتبه هؤلاء النساخون ذات أثر علمي يمثل بالنسبة للواحد منا وثيقة تاريخية.

ويبحث بجدية عما يمكن جمعه من المخطوطات حتى أصبحت الكتب المنسوخة باليد من أهم المصادر التاريخية الأساسية لدراستي عن بربورة وعن حركة النساخين في النوידرات خاصة وأن اللجنة التي أخذت على نفسها كتابة تاريخ قرية النويدرات قد كلفتني بدراسة وتدوين بعض مظاهر الحياة الثقافية فيها كحركة النساخين وعمليات نسخ الكتب والمخطوطات التي تقرأ عادة في المآتم قبل بدء الخطابة الحسينية المعتمدة في النشاط الثقافي والروحي للحسينيات بالقريتين وبقرى البحرين بوجه عام، فوجدت ضالتي في بعض هذه المخطوطات التي كانت تعكس حالة من تاريخنا الثقافي - الروحي للقريتين اللصيقتين بلا فواصل.

ومما أود التأكيد عليه أنني بقيت فيما بعد هذه النصيحة أتعب بعض القائمين على إدارة المآتم في النويدرات واحداً بعد آخر للحصول على كتب ومخطوطات كانت تستخدم منذ سنين تمتد لقرن وأبعد، وكانت النية منعقدة على متابعة هذه المهمة الثقافية حتى لو اضطرت لمتابعة هذا النشاط مع قائمين على إدارة المآتم بقري مجاورة كالعكر والمعامير وسند، فتحققت - بعد هذه المتابعة - ثلاثة أمور كنت أحتاجها كباحث في إنضاج دراستي وجني ثمارها العلمية، وهذه الأمور الثلاثة هي كما يأتي:

- العثور على مزيد من النساخين من النويدرات و بربورة وقرى بحرينية محيطة بهما أو بعيدة، وقد توفقت في العثور على أكثر من (11) ناسخاً تحملوا مشاق الكتابة بخط اليد ونسخ الكتب للمآتم أكثر من ثلثهم من أهالي قريتي النويدرات و بربورة، وأتينا على ذكر بعضهم في تضاعيف البحث.

- العثور في مخطوط كبير ضم أكثر من خمسة كتب مخطوطة باليد على نسخة كاملة لمخطوطة الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حسين بن أحمد بن جعفر البربوري الأوالي في وفاة النبي يحيى عليه السلام التي كنت أبحث عنها فترة من الزمن، ومما زاد من شعوري بالارتياح والثقة بالذات أنها كانت بخط ناسخ من النويدرات هو الخطيب المعروف المرحوم الحاج حبيب بن يوسف بن أحمد بن الشيخ يوسف النويدري البحراني، وهي نسخة فرعية وليست أصلية، وتعود إلى (سنة 1338 هـ - 1920 م)، أي أن عمرها الآن يقارب (92) عاماً هجرياً، فحمدت الله سبحانه كثيراً أن سهل علي اقتناء المخطوطة كاملة والعثور عليها بخط واضح يمكن قراءته بيسر، وقد ختمت المخطوطة في ظهر آخر صفحاتها بصيغة مألوفة، وهي صيغة «وقف شرعي» للمخطوط مذيبة بتاريخ الثامن من شهر رجب الأصب (سنة 1338 هـ - 1920 م)، وقد أملى صيغة العقد وكتبها المرحوم محمد بن سلمان بن عبد الله البحراني، وذيله بختمه ومهره.

- والمخطوط الكبير الذي عثرنا في صفحاته علي مخطوطة الشيخ علي بن الشيخ عبد الله البربوري ضم بالإضافة عدداً من كتب الوفيات التي نسخت مع بعضها وجمعت في مخطوط واحد بخط ناسخ واحد هو الحاج حبيب بن يوسف بن الحاج أحمد بن الشيخ يوسف النويدري البحراني، وكان هذا المجلد المخطوط محفوظاً في مآتم المرحوم علي بن أحمد بن إسماعيل لدى حفيده عبد النبي جاسم الذي لم يتردد في مساعدتنا بمطالعة مخطوطات المآتم والإفادة منها في تتبع نشاط النساخين بالقرية، وبعد الاطلاع والتدقيق

ما ذكره عن ابن للشيخ عبد الله بن الحسين البربوري اسمه أحمد، حيث لم نجد له ترجمة في المصدرين السابقين.

لقد تمكن صاحب هذا المقال من الإشارة لعدد من علماء بربورة بلغ عددهم (10) شكلوا سبعة منهم أسرة علمية كما ذكرنا، وبتصور أن أحد الثلاثة من هذه المجموعة قد أشرنا إليه وهو الشيخ عبد الله بن الشيخ حسين بن أحمد البربوري البحراني الذي درس في البحرين على يد شيوخه المقابي والبلادي، أما العالم الآخر وهو الشيخ جعفر البربوري فاسم جديد كأسماء أفراد الأسرة العلمية السبعة يضيف جوانب مضيئة على التراث الثقافي لعلماء بربورة.

ومع أن المعلومات كانت قليلة كعادة علماء التراجم في عرض مادتهم عن هذا العالم أو ذاك فإن بيانات الطهراني في كتابيه (الذريعة وطبقات أعلام الشيعة) لا تتجاوز سطرين أحياناً في ترجمة سيرة علماء بربورة، وقد تصل أحياناً لبضعة أسطر، وهذا كما قلنا ديدن رجال التراجم لا يكتبون في الترجمة بإسهاب إلا نادراً لا يتعدى صفحتين، فالعلماء الذين يكتبون عن حياتهم وسيرتهم كثر، وتقتضي الإحاطة بهم الإيجاز وبخاصة إذا كانوا غير مشهورين كبعض علماء بربورة الذين ورد ذكرهم.

أما مخطوطة الشيخ علي بن عبد الله البربوري الأوالي عن وفاة «النبي يحيى» عليه السلام فلها قصة مثيرة، ونحكي الآن باختصار قصة العثور على مخطوطة وفاة النبي يحيى للشيخ علي بن الشيخ عبد الله البربوري الأوالي البحراني:

إن لمخطوطة الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حسين بن أحمد بن جعفر البربوري الأوالي المتوالي في كتابه (وفاة النبي يحيى بن زكريا) عليه السلام قصة مثيرة، وهي ثمرة معاناة التقصي والبحث عن المعرفة، فقد كنت ممن يبحث عن وجود شخصيات علمائية من بلدة «بربورة».

ومن مقدرات الموقف الإلهي علي أن وقعت عيني فجأة وبدون مقدمات منتظرة على ترجمة قصيرة وعابرة لسيرة عالم من بربورة هو الشيخ عبد الله بن الشيخ حسين بن أحمد البربوري البحراني والد الشيخ علي صاحب المخطوطة التي نحن بصدد الإشارة إليها، وكانت الترجمة مكونة من صفحة واحدة مكتوبة ومرفوعة على جدار المدخل الداخلي لمبنى مسجد الشيخ مؤمن بمنطقة بربورة، ومذيلة بقلم صديقنا الأستاذ عبد العزيز سلمان بن محمد راشد العرادي المهتم بتراجم علماء البحرين.

وأسرعت - بالتأكد - إلى قراءتها بسرعة وتمعن واستيقاف بين لحظة وأخرى بالرغم من أنها مرفوعة على جدار المبنى داخل المسجد، وبعد الفراغ من قراءتها داخلتني رغبة قوية باقتنائها شخصياً، فتحدثت على وجه السرعة مع القائم على إدارة المسجد (قيومه) الأخ سعيد ماجد بن حبيب بن يوسف بن أحمد بن الشيخ يوسف النويدري البحراني، وهو أحد أحفاد الخطيب الحسيني المعروف المرحوم الحاج حبيب يوسف ناسخ المخطوطة المذكورة للشيخ علي بن عبد الله البربوري الأوالي البحراني، ووعدني الأخ سعيد بتسهيل الأمر علي مع كاتب الترجمة، ثم استخرج تلفونه النقال الخاص وفتش عن بعض الأرقام داخله وسلمني بعد برهة قصيرة رقم تلفون كاتب الترجمة.

وبعد مضي قليل من الزمن بادرت شخصياً في الاتصال بالأخ عبد العزيز العرادي على فترتين، وفي المكالمة الثانية تم تحديد موعد للزيارة والمقابلة الثنائية والاتفاق على الاستفادة من مضمون الترجمة ومحتواها الثقافي - التاريخي، وأتذكر أنه تم ترتيب المقابلة المطلوبة بيننا في صباح يوم السبت الموافق 16 أغسطس / آب 2008 م ببيته في قرية «عراد».

وطلبت في هذه المقابلة من الأستاذ عبد العزيز العرادي أمرين هما:

1- معلومات أوسع عن صاحب الترجمة.

2- للحصول على النسخة الكاملة المصورة من المخطوطة التي لاتزال حتى الآن بحوزته عن وفاة النبي يحيى عليه السلام تأليف للشيخ علي بن عبد الله البربوري فاعتذر لي لاتفاقه المسبق مع الشخص الذي أعطاه المخطوطة فاشتراط عليه عدم تسليمها أحداً غيره، فاحترمت وعده واتفاقه وقبلت بالأمر الواقع وتفهمته عن طيب خاطر.

والحق يقال إن الأخ عبد العزيز لم يبخل علينا بشيء مما كان يستطيع، ولم يحرمني رغم قبوله للشرط بينه وبين صديقه من المساعدة في أقل حدودها، حيث أعطاني صفحة مصورة من المخطوط تحمل اسم المؤلف الشيخ علي بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن جعفر البربوري الأوالي، وتحمل في مدخلها عنوان «موضوعها الأساسي» وهو قصة وفاة النبي يحيى عليه السلام، ولكن لا تتضمن الصفحة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ لأن ذلك يكون عادة في آخر صفحات المخطوط، وإنما أبلغني بأن الناسخ شخص بحريني قد نسخها من أربعين عاماً لم أتمكن من معرفة اسمه، وهي كما علمت منه مكونة من سبعين صفحة تقريباً، ووجدت في هذا القدر من العطاء المبدول قدراً مقبولاً من العطاء والتعاون بيننا الذي يعيننا على معرفة شخصية جديدة لأحد علماء بربورة.

نعم قبلت الأمر... ورتبت نفسي على توافر صفحة مصورة من المخطوطة شيئاً ثميناً،